تحسين حال الفلاح

وأثره فى الانتاج الزراعى

لحضرة صاحب العزة حسين عنان بك

وكيل وزارة الزراعة

الحياة كفاح . والدنيا لمن غلب . ولا قوة للمرء على الكفاح إلا بجسم صحيح وعقل سليم . ولذلك كان أول ما تعمل له الحكومات الصالحة أن تهيىء لشعوبها الحياة الطيبة التى تضمن صحة أجسامها وسلامة عقولها . وانما تطيب الحياة بحسن استخدام ماتنبت الأرض من ثمرات . فاذا شبعت الاجسام وقويت ، صحت العقول وسلمت ، وتعاون الجسم والعقل على توفير السعادة للشعب وتهيئته للعزة والمجد . ولقد علمتنا الحرب العالمية الماضية أن العظمة والنصر لا يكونان إلا حيث توجد الوفرة واليسار . وأن حظ المأزومين والجائعين هو الهزيمة والانكسار . وعلى ضوء هذه التجربة وهذه النتيجة تسير الحرب الحاضرة . وأول سلاح للحلفاء فيها هو حصر ألمانيا لتجويعها حتى تضعف قواها الحربية كلما ضعفت قواها المالية والغذائية . ومن هنا تبدو أهمية الانتاج الزراعى فى امداد الأمم وحفظ كيانها وصيانة استقلالها وعظمتها .

ومصر التى تعيش الى اليوم فى ظلال السلام ، والمعرضة لخطر الحرب فى كل حين ، والتى بدأت حياتها الاقتصادية تتأثر بالحرب القائمة رغم بعد ميادينها ، ، خليقة بأن تتنبه الى فضل الانتاج الزراعى الوافر المنظم فى تخفيف الأزمات وفى ترغيد الحياة سواء فى زمن السلام أو فى أزمان الحروب .

و إنما يقوم الانتاج الزراعى على ساعدى الفلاح . فالذين يريدون لمصر الوفرة والاستغناء بمواردها عن موارد سواها ، يجب أن يتجه اهتمامهم الى تقوية هذين الساعدين النافعين و إلى تثقيف وتهذيب العقول التى توجههما وتحركهما ليكون تعاون الأجسام والعقول كاملا وموصلا البلاد إلى ماترجوه من فلاح وصلاح .

وما أنا بحاجة الى الافاضة فى وصف مايعانيه الفلاح المصرى وهو المنتج الأول من شقاء وعناء فقد قام سواى من الواصفين بعرض هذه الحياة البائسة القاتمة التى يحياها الفلاح ، حياة الجوع والعرى والمرض والجهل والقذارة والفوضى . وهو مستكين لهذه البأساء راض بهذا الحرمان منسى عند المصلحين والقادرين على تحسين حاله ، اللهم إلا لفتات كريمة بدأت حكومات العهد الأخير توجهها إليه ، ولعلها تمضى فى عنايتها به وتضاعف جهودها البارة لخدمته ، تلك الجهود التى رأينا بشائرها فى مشروعات ردم البرك والمستنقعات وإيصال الماء النقى الى القرى وتعميم المستشفيات الثابتة والمتنقلة ونشر الدعوة الصحية للحث على النظافة واتقاء الأمراض وإقامة المراحيض الصحية على نفقة الحكومة مستعينة بهيئة روكفلر السخية .

أملنا أن يزداد النشاط فى هذه الميادين وفى العناية بالمسكن الصحى للفلاح . ولعل من أحسن النماذج فى هذا الباب تلك المبانى الجميلة التى أنشأتها الخاصة الملكية لسكنى فلاحيها أو التى أقامتها الجمعية الزراعية الملكية فى مزرعتها النموذجية ببهتيم . وحبذا لو حذا هذا الحذو أصحاب الأملاك الكبيرة والضياع الواسعة . وهذا مالابد له من دعاية قوية ، ومن الجد فى تطبيق قانون بناء العزب .

ولقد وقفت على مثال حسن فى تهذيب ملبس الفلاح . فان أكثر الفلاحين لايعنيهم تغطية رؤوسهم أوستر أقدامهم . وهم بهذا وذاك يتعرضون لفعل الحر والبرد وما وراءهما من أمراض .

ذلك أن أحد مديرى الوجه القبلى وزع نعالا خفيفة سهلة التكاليف على فلاحى مديريته فوقت اقدامهم وأجسامهم من القذارة ومن الجروح ومن لسع الهوام . ومن الخير أن ندعو كبار الملاك الى حماية أجسام فلاحيهم بتغطية رءوسهم وأقدامهم ثم بتحسين أزيائهم والتوفيق بينهما قدر الإمكان .

أما عن تغذية الفلاح فذلك فيما أعتقد رأس الأبحاث التى يجب أن تشغل بها الأذهان وقد قدمت فيه مذكرة مستفيضة الى المؤتمر العربى الثانى الذى عقدته الجمعية الطبية المصرية فى القاهرة أوائل عام ١٩٣٩ نشر فى مجلة الجمعية فلا أرى مجالا لإعادته وإنما أكتفى ببيان الحقيقتين التاليتين :

أولا — أن الفلاح الصغير والعامل الفقير لاينالان كفايتهما من الغذاء ولا تتوافر فى غذائهما العناصر الضرورية للصحة كالزلاليات العضوية والأملاح المعدنية والفيتامينات على أنواعها وهذا مبعث عدم تكامل نمو الأطفال وانتشار الأمراض عموما والجلدية منها على الأخص ثم كثرة الوفيات بينهم .

ثانيا — إن الطبقة الميسورة من الأهالى تجد الكمية الكافية من الغذاء بل قد تزيد هذه الكمية على حاجتها فى كثير من الأحوال غير أن أغذيتها قد لاتكون وافية من وجهة محتوياتها وعناصرها .

لهذا لابد من الاهتمام بالبحث فى كميات وأنواع الأغذية التى تتناولها طبقات الأمة على اختلافها، وكل تقدم فى هذا السبيل يظهر أثره فى مقدرة الفلاح على العمل وفى الانتاج الزراعى بوجه عام .

لابد لنا من زيادة المساحة التى تزرع خضرا وفاكهة ومن العناية بتربية الحيوانات والطيور لنستكمل العناصر التى تنقص غذاء الفلاح ولا شك أن هـذه العناية بغذاء الفلاح تنمى قوته ونشاطه .

ولكى تتوافر للفلاح الصغير الكمية الكافية من الغذاء لابد من العمل على زيادة أرباحه بتطبيق الأساليب الفنية التى تنمى إيراده ، و بشغل وقت فراغه بأعمال زراعية ثانوية تدر عليه كسبا إضافيا أو بصناعات مرتبطة بالزراعة كتربية النحل والدواجن وما الى ذلك ثم بوقايته من الآفات الاجتماعية التى تفتك القرى عن المدن كالخمر والميسر والمواد المخدرة والشاى الأسود وما إليها من الموبقات التى تفتك بجسمه وتهد قواه فضلا على فتكها بأخلاقه وافسادها لحياة الأسرة المصرية على العموم .

وانى مستبشر بما تبذله وزارة الشؤون الاجتماعية من جهود موفقة فى هذا السبيل و بالدعاية التى تقوم بها لرد فلاحينا الى جادة الفضيلة والدين ولعلها تنجح النجاح الكامل فى رفع هذه الشرور عن الفلاح سواء بالدعاية أو بسن القوانين أو بالصرامة فى تطبيق القوانين القائمة حتى تضمن لفلاحنا خلقا كريما ودينا قويما وجسما سليما وتستقبل منه بعد هذا عملا نافعا ونتاجا وفيرا .

* * *

وتحتل مسألة تعمير الريف مكانا عاليا من بحثنا هـذا . فقد بلغ التطرف فى النزوح الى هجرة أكثر الأعيان المتعلمين لقراهم فأثر ذلك تأثيرا بالغا فى تقدم الزراعة ووفرة الانتاج إذ أن هذا العنصر الذى يهجر القرية هو العنصر الذكى المتعلم من أهلها . وأولئك الهاجرون لو أقاموا بين اخوتهم وعشيرتهم من الفلاحين لكانوا نعم الرقباء عليهم والمشجعين لهم والناصحين والموجهين ولاستفادت القرى بعض ما يفقدن فى المدينة من أموالهم ان كانوا من ذوى المال، و بعض ما يبددون من وقتهم وذكائهم ان كانوا ممن يعرضون ذكاءهم فى المدينة طلبا لوظيفة أو لربح مضاعف فى تجارة أو صناعة وكثيرا ما تخيب آمالهم و يخسرون خير القرية والمدينة معا .

لو بقى أولئك وهؤلاء فى قراهم وتغلبوا على استهواء المدن لهم لأفادوا كثيرا واستفادوا ولكان للقرية بهم و ببقية أهلها قوة متكاتفة متعاونة على التعمير والانماء .

ولكى نقف تيار الهجرة من القرى يجب أن نعمل على تحبيبها الى أبنائها وانما يكون ذلك بتجميلها واشعار الفلاح بأننا نحبه ونحنو عليه ، و باقامة الأعياد الزراعية على مثال ماتقيمها الأمم الأخرى ويجب أن نشاركه فى هذه الأعياد ونجلب اليه بعض محاسن المدينة ومناعمها ونصوّر له مساوئها ونبغضه فيها .

وكذلك يجب أن ندعوه الى تعمير المناطق القليلة السكان ان كان من أهل الجهات المزدحمة بسكانها . لأن الأولى تتطلب زيادة الأيدى العاملة خصوصا إذا كانت أراضيها حديثة عهد بالإصلاح . فالهجرة اليها والعمل المستمر فى زراعتها واستنبات ثمراتها يعود بالخير على الفلاحين ويؤتى غلة وافرة ورخاء وثراء .

وقد أثبتت التجربة صدق هذه الفكرة ، فالمناطق المكتظة بالسكان فى مديرية المنوفية رحل عنها كثيرون من فلاحيها الى المناطق الشمالية غير المأهولة فأصلحوا وعمروا وأثمروا ولم ينقص الانتاج الزراعى فى مديرية المنوفية بل استمر فى الزيادة والجودة لأن الملكيات الصغيرة جدا ، التى باعها أهلها وانتقلوا الى الشمال ، انضم بعضها الى بعض فتكونت منها ملكيات كبيرة لاشك أن أصحابها الجدد أقدر على خدمتها وتوفير الآلات الزراعية لها والحصول منها على انتاج أحسن وأكثر .

نستطيع بدعاية مقنعة سهلة أن نحبب الى أصحاب الأراضى الصغيرة فى المناطق المزدحمة بيعها والنزوح الى المناطق الشمالية غير المأهولة . ويجب أن نلاحظ أن عدد الملاك الذين يملك الواحد منهم أقل من فدان يبلغ ١,٧٠٠,٠٠٠ بمتوسط عشرة قراريط لكل منهم وهذه مساحة متناهية فى الصغر بحيث يتعذر انتفاعها بالمصارف العامة وبأساليب الزراعة الحديثة وبالأنواع الجيدة من التقاوى . فلا شك أن نتاجها يكون غاية فى الضآلة . فاذا انضم بعضها الى بعض تغيرت الحال وسهل تطبيق النظم الزراعية الحديثة فيها وأمكن إمدادها بالبذور والأسمدة والمواشى وازدادت غلتها وفى الوقت عينه تتحسن حال أصحابها الصغار الأصليين بانتقالهم إلى الأراضى المهجورة خصوصا مع تقسيم الحكومة لها الى اقطاعيات زراعية متوسطة المساحات تعطى بشروط مرغبة معقولة الى الزراع الصغار والى الفنيين الزراعيين .

هذا البرنامج ليس مجرد برنامج للاصلاح الاجتماعى السريع النافع ، بل فيه نهوض بأساليب الزراعة ومضاعفة للانتاج وترفيه لحياة مختلف طبقات السكان . وفيه حل أو تخفيف لمشكلة شبابنا المتعلمين تعليما زراعيا ، الذين لا يجدون مجالا يطبقون فيه معلوماتهم الفنية .

حسين عنان